

المرأة ونسق الموضة من الاحتشام إلى السفور

آمال بوزكري

جامعة عباس لغرور خنشلة

ملخص:

تستهدف هذه الدراسة إطلالة على المرأة ونسق الموضة من الاحتشام إلى السفور والتعري، باعتبار أن لكل أمة نسق خاص بها في اللباس، ذلك أن لباس المرأة العربية قديما غير لباس المرأة الأجنبية لمعتقدات دينية وأنساق ثقافية يخضع لها كل طرف، وهذه القضية شغلت الكثير من الباحثين والدارسين، خاصة وأن لباس المرأة جعلها تتأرجح بين ثنائيات المندس والمقدس بين التقدم والتخلف بين الجميل والقبيح بين التقليد والإبداع بين التابع والمتبوع... إلا أن هناك جماعة من رواد حركة الإصلاح الحاملين للواء تحرير المرأة وتغيير نسق لباسها، فتغافلوا بأنها حركة علمانية ليبرالية مصوبة صوب حجاب المرأة العربية باعتباره أساس المجتمع، لأن تحرير المرأة من الحجاب هو تحريرها من الآداب الإسلامية والانتقال بها من الاحتشام إلى السفور والتعري.

الكلمات المفتاحية:

المرأة؛ النسق؛ الموضة؛ الاحتشام؛ التعري؛ السفور.

Résumé :

Cette présente étude s' intéresse à l' habillement de la femme arabe connu différent de celui des autres pays pour des raisons religieuses et culturelles. Que son spécial habillement était le centre d' intérêt de plusieurs chercheurs notamment le mouvement d' El-Islah qui était bien conscient que les libéraux visent le dévoilement de la femme arabe musulmane de sa culture religieuse et la libérer de ses principes islamiques.

قد يكون لابد من العجيب حقا أن نجد أننا إذا أردنا أن نتحدث عن "ملابس الإنسان وتطورها لابد أن نتحدث عن "حالة العري" ذلك بأن الإنسان بدأ أول ما بدأ عاريا وترجع

تغطية الإنسان لجسده وهي التغطية التي تطورت فيما بعد على مر التاريخ إلى صور الأزياء وأنماطها التي نراها الآن...¹ "فاليوم يرتدي الملابس ونتفنن في ألوان التأنيق بها لتروق في عيوننا وعيون الناس، ولكن من منا فكر في السبب الذي جعل الإنسان يرتدي الملابس، وماذا كان ثوبه الأول، وكيف وصلت الملابس إلى هذه الدرجة من التنوع والتعدد في اللون والشكل والحجم؟

يقول مالك بن نبي: "مشكلة الزي موضع اعتبارات مهمة... ونعني بها تلك التي تدفع إلى الاعتناء بالشكليات، فمن المعلوم أن الملبس يسير مع أهله في تطور التاريخ وتبدل الأزمان، والدول المتقدمة تغير أزياءها الرسمية حسب تغيرات التاريخ، وخاصة بعد النكبات الحربية"² فبعد أن تطور لباس الإنسان من لباس بدائي بفعل الحاجة الطبيعية للتستر إلى لباس راق ومتحضر ومتطور، إلا أنه منذ سالف التاريخ فقد "... عاش العالم بأجمعه حالة من الاحتشام والستر رغم وجود الديانات المتعددة في بعض حضارات العالم، مثل الحضارة الصينية والهندية والرومانية والإغريقية والمصرية الفرعونية، إلا أن العالم منذ تلك الحقب القديمة، كان يسير منضبطاً على وتيرة واحدة واضحة في قضية الاحتشام للمرأة ويؤكد ذلك:

-1

لقرآن الكريم:

يخبر عن احتشام المرأة في الأزمنة القديمة بين أقوام وثنيين لا يدينون بالأديان السماوية يعبدون الشمس من دون الله - سبحانه وتعالى- فيقول عن لباس بلقيس ملكة سبأ "قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين" سورة النمل- الآية 44.

فقوله سبحانه وتعالى كشف عن ساقها، دليل على أن ساقها كانت في حالة من الستر والتغطية قبل أن تتوهم أن تحتها ماء.

-2

لصور التاريخية والآثار:

¹ ينظر: تحية كامل حسين: تاريخ الأزياء وتطورها، دار نهضة مصر الفجالة- القاهرة. ص: 1، 2.
² ينظر: مالك بن نبي: مشكلات الحضارة -شروط النهضة-، تر: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط4، 1987، دار الفكر، دمشق سورية، ص: 133.

التي يتم اكتشافها بين الحين والآخر كصورة كليوباترا أو ما نراه في صور الفراعنة المنحوتة حتى يومنا هذا تدل على الواقع المحتشم الذي عاشته البشرية في الأزمنة السالفة.

-3

1

إنتاج السينمائي:

وهو البوابة التي نطل من خلالها لرؤية الاحتشام النسائي في الحضارات التاريخية القديمة، حيث نرى زي المرأة فيها بكامل الحشمة في جميع الأفلام التاريخية التي تحكي قصصا قديمة حدثت قبل مائتي عام؛ أي قبل العصر الحديث¹.

-4

1

لحاضرات الحديثة:

مثلا الحضارة الأمريكية الأوروبية قد أكدت ثقافتها على العفاف والحشمة ومحاربة السفور والعري، والدليل على ذلك ما نجده في أدبيات التاريخ الأمريكي القديمة بل والحديثة، والأفلام الكثيرة التي تصور هيئة المرأة وهي محتشمة بلباس سابغ، فثقافة الاحتشام بقيت سائدة آنذاك ولم تختف مظاهرها بسهولة². ويمكن التوضيح أكثر بالاستشهاد ببعض الصور التي تم التقاطها من أنحاء العالم قبل وبعد الثورة الفرنسية العلمانية التي حصلت عام 1789. والصورة التالية تمثل مدى احتشام المرأة وسترها³

¹ عبد الله بن محمد الداود: هل يكذب التاريخ؟ مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة، ط3، الرياض، 2008، ص: 19، 20.

² المرجع نفسه، ص: 21.

³ المرجع نفسه، ص: 21.





ثوب طويل للعرس وهو يشبه ما كان يلبس في عهد الثورة الفرنسية، وهي صور تبين
ألبسة النساء في فرنسا التي بدأت منها الثورة التاريخية المشهورة التي طالبت بالمساواة
والتححرر، وفيها لباس نسائي فرنسي ساتر ومحتشم.¹

¹ المرجع نفسه، ص: 28.



أقيمت في جنيف حفلة سنوية تعرف باسم "عيد الملكة برت ملكة نهر الرون" وقد مثلت هذه الملكة فتاة هي ملكة الجمال في جنيف.¹

هذه الصور تبين مدى احتشام المرأة، ولكن لسوء الحظ مع بدايات القرن التاسع عشر بالتحديد يلحظ الدارس للتاريخ بدايات التحول في ثقافة الاحتشام والستر وأيضا البدايات الأولى لفساد المرأة، فمنذ هذا التاريخ والعالم يتسرب إليه الفساد والتكشف الذي يخالف طبيعة الإنسان والفطرة، فاستشرى الفساد في الأمم البشرية بمختلف أديانها. وبداية التدرج الذي أصاب ملابس النساء في أنحاء العالم وما تبعه من انحلال في أخلاق المرأة مع 1825-1829 بصفته منعطف العبث العالمي الأول في التاريخ المعاصر فهذا العام بالذات 1825 يمثل نقطة تحول... ولكن لا بد لهذا التاريخ أن يرد بصفته المرحلة الانتقالية المفصلية بين الاحتشام الذي يسبق هذا العام وبدايات التكشف والعري، ويقول عبد الله بن محمد الداوود: "وقد لفت نظري هذا التاريخ 1825 دون أن أجد له تفسيراً واضحاً حتى قرأت كلمة للرئيس الأمريكي (بنيامين فرانكلين) ألقاها في خطاب له عام 1789 يقول فيها: "أينما حل اليهود هبط المستوى الأخلاقي والشرف

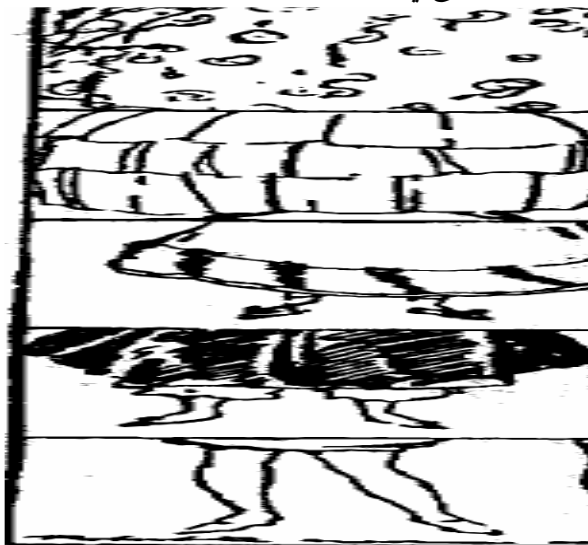
¹ المرجع نفسه، ص: 41.

التجاري" فهدف اليهود هو الإفساد العالمي لكل مجتمعات الأرض بمختلف أديانهم، فهم أصل الشرور والإفساد وتسميم العقول، للوصول إلى سيادة العالم.

العلمانية والمرأة الغربية

نشأت العلمانية على الأيدي اليهودية منذ ذلك الوقت لتقف على رأس الفتنة وهي نائمة، فأخذ اليهود يوقظونها حتى استشاطت تضرب فسادا في طول العالم وعرضه، فمزقوا أردية النساء، وحاولوا إبداء الفتنة من أجسادهن حتى يلتفت الرجال عن السعي في الحياة إلى السعي خلف الشهوات، وحتى تجري المرأة لاهثة صوب تبرج الموضات اليهودية، مهملة بيتها وهاجرة أسرته وأولادها.

وفي ذلك يقول ياسر فرحات: "ولقد كشف ذلك هنري فورد في كتاب اليهود العالمي حيث أوضح أن اليهود من أجل تحقيق غاياتهم قد سيطروا على ثلاثة أشياء: البنوك للربا والسينما لتقديم مفاهيمهم المسمومة، وشركات الملابس والأزياء والعطور وسواها من مستلزمات الموضة، فكلما غيروا أنماط الموضة زادت النساء شراء وإنفاقا وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود وهم يحققون أيضا قتل الأخلاق ويشيعون التفسخ وينشرون الشهوات وإنما الملابس القصيرة ابتكار يهودي، فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة، ليزول الحياء وتنتشر الرذيلة، ويشيع الاختلاط غير البريء بين الشبان والشابات..."¹ والصور التالية تبين التدرج في تعري المرأة وسفورها.



¹ ينظر: ياسر فرحات: معركة الحجاب، دار الجيل، بيروت، 1995، ص: 10.

هذه الصور منقولة عن مجلة فرنسية فكاهية وهي تبين كيف تطورت الأزياء الغربية في القرنين الأخيرين ولكنها اقتصرت من ذلك على مظهر الأرجل فالشكل الأعلى يبين هيئة القسم الأسفل في منتصف القرن الثامن عشر وهكذا يتضح التطور الذي أصبحت عليه ملابس السيدات قصيرة¹.
فاليهود نصبوا من المرأة تمثالا لسهامهم من أجل إفسادها وإفساد سترها وحجابها. وتتدرجوا في ذلك والصورة الآتية أبلغ من الكلام.²



المرأة في حلقة مفرقة

هنالك أمور كثيرة لها تأثيرها في مسلك المرأة الغربية في طريقة اختيارها لملابسها وظهورها به في الشارع، فيمكن القول بأن تعليمها وثقافتها تلعب دورا في ذلك. مع أن المرأة قد جبلت على حب التزين... "إذ أنه مسامرة لفطرتها وإرضاء لأنوثتها... فقد ثبت بعد الدراسة النفسية للمرأة ومزاجها... تتجمل وتزين أيضا بسبب نزعة نفسية دافعها حب الظهور في أفخر الأزياء وأحدثها"³ فالزني الذي تختاره المرأة لنفسها دليل واضح على الدور الذي تريد تمثيله في المجتمع وتمثله فعلا، فقد كانت المرأة الأوروبية إلى عهد قريب تلبس اللباس اللطيف من (الدانتلا)، تستر به مع أنوثتها سرها المكتوم حتى أخمص قدميها،

¹ عبد الله بن محمد الداود: هل يكذب التاريخ؟ مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة-، ص: 56.

² المرجع نفسه، ص: 57.

³ ينظر: خالد بن عبد الرحمان الشايع: النساء والموضة والأزياء، تقديم: صالح بن غانم السدلان، دار بلنسية، ص: 10.

وتتخذ من حياءها حاجزا يمنعها من التردى فى الرذيلة، فكانت بردائها هذا خير مثل للركة والأدب فى المجتمع. غير أنها أصبحت اليوم تلبس اللباس الفتان المثير، الذى لا يكشف عن معنى الأنوثة، بل عن عورة الأنثى، فهو يؤكد المعنى الجسدى الذى يتمسك به مجتمع سادته الغرام باللذة العاجلة.

هذا بالنسبة "لتطور الملابس فى المجتمع الغربى الذى انطلق من نقطة معينة، وهو إبراز جمال المرأة فى الشارع بكل ما يمكن أن يوضح مظهره، بينما نجد أن تطور الملابس فى المجتمع الإسلامى قد اتخذ اتجاها مخالفا تمام الاختلاف، إذ هو يهدف أساسا بوسائل (ملاية اللف) أن يخفى جمال المرأة فى الشارع"¹ وليس الأمر فى هذين الاتجاهين أمر تفكير واختيار، وإنما هو أمر تقليد يخضع للورثة الاجتماعية وللعادات والتقاليد. وليس يعنى هذا أن الثقافة الإسلامىة تفقد عنصر الجمال، وإنما تضعه فى مكان آخر فى سلم القيم، فكل ثقافة تتضمن عنصر (الجمال) وعنصر (الحقيقة) غير أن عبقرية إحداها تجعل محورها (الجمال)، بينما الأخرى تفضل أن يكون محورها (الحقيقة).

والاختلاف هذا يعود إلى الأصول البعيدة. فالثقافة الغربىة قد ورثت ذوق الجمال من التراث اليونانى الرومانى، أما الثقافة الإسلامىة فقد ورثت الشغف (بالحقيقة) من بين ميزات الفكر السامى.

وإذا أردنا الحديث وتقديم نبذة عن احتشام و زى المرأة العربىة كيف كان وإلى أين آل ، فلنقم بإطلالة عن لباس المرأة فى العراق مثلا، فيقول فى ذلك عباس بغدادى: "كانت المرأة المحتشمة تلبس عباءتين: داخلية تلبس على الكتف، وخارجية على الرأس مع البوشىة التى تغطي الوجه، ولا تمنع الرؤية، وهى سوداء...."² وهذه الصورة فيها قصيدة لشاعر معروف لم تنشر المجلة اسمه بل اكتفت بتلقيبه "بالشاعر الصغير" وهو جميل الزهاوى، الذى كان أول من دعا لسفور المرأة العراقىة فى شعره:

مزقى يا ابنة العراق الحجابا	و اسفري فالحياة تبغى انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريبث	فقد كان كذابا
انزعيه بقوة وطنيـــــه	واجعلي فى فم الحليق ترابا
إنه قد قضى عليك بتعس	كلما قلت غاب عني أبـــــا

¹ ينظر: مالك بن نبي: مشكلات الحضارة - شروط النهضة، - ص: 109.

² ينظر: عباس بغدادى: بغداد فى العشرينيات، ص: 143. نقلا عن: هل يكذب التاريخ؟ عبد الله بن محمد الداود: هل يكذب التاريخ؟ مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة، - ص: 83.

ليس بالناهض المهذب شعب
عجبي أن تعد نظرة إنسان
وفي قوله أيضا:

آخر المسلمين من أمم الأرض
ويقول أيضا رافضا الحجاب: «إن الحجاب يسيء ظن الغربيين بنا فإنهم يقولون: لو كان
المسلمون واثقين بعفة نسائهم لما ضغطوا عليهم هذا الضغط اللثيم، فأخفوهن عن
عيون تطمع في النظر إلى وجوههن النظرة»¹
أما الرصافي فيقول:

وقد ألزموهن الحجاب وأنكروا
ويقول أيضا:

وما ضر العفيفة كشف وجهه
بدا بين الأعفاء الأبأة
وأما في بلاد الشام كان الحجاب متناغما مع الستر المهيمن على المسلمات في العالم
الإسلامي، يقول في ذلك عبد العزيز العظيمة: "كانت النساء عند خروجهن من دورهن
يأتزرن بمآزر بيضاء تسدل إلى وجه القدم... تعلقهن الحشمة والوقار"² فتحول هذا
الحجاب "إلى حجاب لما فيه من إظهار للزينة وبوابة للافتتان بل إن بعض النساء
الصالحات ترتدي حجابا ناعما رقيقا... وما ذلك إلا لشيوع المفاهيم العلمانية اليهودية،
وطمسها للعقول وللتصور الشرعي للحجاب"³

أما "في ألبانيا قام الملك زوغو بنزع الحجاب عن وجوه المؤمنات باسم التمدن
والحضارة، ومن البلاء أن تحقق له ما أراد فكتبت عنه المجالات العلمانية معجبة
بصنيعه ورأسمة صورته كما ترى وتأمل كيف رسمت هذه الصورة، وقد كان أحمد
زوغو كما يقول المؤرخ محمود شاكر: "حاول تغيير العادات ومسيرة الدول الأوروبية،

¹ ينظر: الزهاوي: عبد الرحمان الرشودي، ص: 112، 117. نقلا عن: هل يكذب التاريخ؟ عبد الله بن محمد الداود: هل يكذب التاريخ؟ مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة، ص: 85.

² ينظر: عبد العزيز العظيمة: مرآة الشام - تاريخ دمشق وأهلها، ص: 74. نقلا عن: هل يكذب التاريخ؟ عبد الله بن محمد الداود: هل يكذب التاريخ؟ مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة، ص: 86.

³ ينظر: عبد الله بن محمد الداود: هل يكذب التاريخ؟ مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة، ص: 108.

ففرض السفور على نساء وطنه، مما اضطر عددا من المواطنين إلى مغادرة البلاد والاتجاه نحو بقية البلاد الإسلامية¹ ويمكن التمثيل بصورة عن حجاب المرأة العربية من إحدى المدن الإسلامية في تركيا²



فصار لفظ تحرير المرأة "شعرا مزيفا ينادي به العلمانيون، مع أن غايتهم ليست التحرير، بل غايتهم الاستعباد والسجن، فالمرأة المسلمة لم تكن مستعبدة إلا لله - عزوجل- فمن أي شيء سيحررها العلمانيون؟!، سيحررونها من العبودية لله - سبحانه وتعالى- التي هي أعلى مراتب الحرية"³ فكان عمل العلمانيين هو "دعوتهم إلى الاقتداء بنساء تافهات يتلاطمن الضياع والتيه، ولا قيمة لهن في تاريخ الخلود، ولن يريق التاريخ قطرة من دواته للكتابة عن تفاهتهن؛ فهن إما نساء كافرات غلبت عليهن شقوتهن، وإما مسلمات تافهات مخمورات بخمرة العرب، فصرن متهالكات على صرخة ملابس، أو تسريحة شعر، أو نمط تجميل أو رقصة أو اختلاط جري"⁴ وتقول سمية نعمان: "بيد أن الثوب الذي ترتديه النساء في بعض البلدان العربية... فقد ظل هذا الحجاب، طيلة قرون قماشاً شديداً الرقة، تتحجب به المرأة إذا همت بالخروج...

¹ المرجع نفسه: ص: 91.

² المرجع نفسه، ص: 79.

³ المرجع نفسه، ص: 9.

⁴ المرجع نفسه، ص: 9، 10.

وهو لا يحجب الجسم وحده حتى لا تظهر منه غير الرجلين، لكنه كثيرا ما يحجب الوجه واليدين أيضا؛ بحيث لا تبدو من المرأة غير عين واحدة"¹

وعن الكويت يقول الزعيم محمود بهجت سنان؛ متحدثا عن ذكرياته فيها: "إن المرأة الكويتية حتى سنين قلائل كانت ترتدي الجلباب عند خروجها من منزلها، والجلباب رداء طويل الذيل يزحف وراءها على الأرض ما يقارب المتر إمعانا في ستر قدميها أثناء المسير..."² ولكن أين آل مآل لباسها وعلى أي أساس هذا التغير والتبدل؟ مع العلم أن "التوازن الأخلاقي في مجتمع ما منوط بمجموعة من العوامل الأدبية والمادية؛ والملبس هو أحد تلك العوامل".³

ولكن حسب قول مالك بن نبي إن العالم الإسلامي على أبواب نهضة يدخل بها المصنع والمعمل، وإن هذا كله ليدعوه إلى أن يساير ملبسه ذلك النشاط الجديد، فهذا شأن الأمم جميعا. فيقول: "ليس اللباس من العوامل المادية التي تقرر التوازن الأخلاقي في المجتمع فحسب، بل إن له روحه الخاصة به، وإذا كانوا يقولون: (القميص لا يصنع القسيس) فإني أرى على العكس من ذلك، فإن القميص يسهم في تكوين القسيس إلى حد ما؛ لأن اللباس يضفي على صاحبه روحه؛ ومن المشاهد أنه عندما يلبس الشخص لباسا رياضيا، فإنه يشعر بأن روحا رياضية تسري في جسده، ولو كان ضعيف البنية؛ وعندما يلبس لباس العجوز فإن أثر ذلك يظهر في مشيته وفي نفسه، ولو كان شابا قويا".⁴

ويمكن اختصار ما سبق في هذا القول: "إن الانقلابات الكبرى في المجتمعات والتحولات الثقافية، يسبقها في الغالب مرحلة "نشر الأفكار" التي يتزعمها رواد هذه الانقلابات وهذا ما ينطبق على موضوع "إفساد المرأة" وبإمكاننا تعداد بعض الأسماء الشهيرة التي تزعمت مرحلة التنظير على سبيل المثال: أحمد فارس الشدياق وأيضا قاسم أمين، وأن أول صيحة لهذا التحرير هي في كتابيه "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" وأيضا

¹ ينظر: سمية نعمان جسوس: بلا حشومة الجنسية النسائية في المغرب، المركز الثقافي العربي المغرب، 2003، ص: 32، 33.

² عبد الله بن محمد الداود: هل يكذب التاريخ؟ -مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة-، ص: 103.

³ المرجع نفسه، ص: 132.

⁴ المرجع نفسه، ص: 133.

رفاعة رافع الطهطاوي والذي قال: "السفور والاختلاط ليس داعيا إلى الفساد"، ومن أوائل الكتب التي هاجمت الحشمة والحجاب كتاب ألفه الدوق الفرنسي داركير هاجم فيه مصر والمصريين وحمل على نساء مصر وأساء إلى الإسلام وانتقد الحجاب، ومن عجيب تصريف الله أن يقع في آخر جملة في الكتاب خطأ مطبعي غير مقصود لفظا، ولكن لا يبعد أن الحكمة الإلهية شاءت أن يقع في حمله، لأنه مطابق لمقصود الكتاب؛ ألا وهو قول قاسم أمين: "تم كتاب تجريد المرأة"¹ كان قاسم أمين من دعاة تحرر المرأة وانقلابها على ما كانت عليه من جهل وانغلاق فكري وجسدي ظنا منه أن السفور والتعري هو باب من أبواب الحضارة والرقى والتمدن، فيقول: "توجد وسيلة تخرجكم من الحالة السيئة التي تشكون منها، وتصعد بكم إلى أعلى مراتب التمدن كما تشتهون وفوق ما تشتهون؛ ألا وهي تحرير نسائكم من قيود الجهل والحجاب"² فهذا القول ليس بعيدا عما فعلته اليهود، فكانت "الوسيلة التي اتخذتها لنشر الفساد الإكثار من إظهار الصور اليهودية لممثلات هوليوود، وهي من أكثر الصور تفننا في العري والإثارة بلا منازع، وتمارس الصحافة تنشرها بطريقة الاستغلال حيث ينشرونها تحت مظلة عرض الأخبار، أو التغطية الإعلامية ولا شيء سوى ذلك."³

وقد قال أحمد محرم رحمه الله في كتاب قاسم أمين :

أغرک یا أسماء ما ظن قاسم أقبي وراء الخدر فالمرء واهم
تضييق ذرعاً بالحجاب وما به سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم
سلام على الأخلاق في الشرق كله إذا ما استبيحت في الخدور الكرائم

فسفور المرأة جعلها تخرج عارية تماما في أغلفة المجلات عام 1935 كما في مجلة آخر ساعة -المصورة- يوم الأحد 11 أغسطس العدد 57 حيث بلغت البجاجة سقف الجبال وكذلك مجلة أبولو أخرجت أكثر من مرة صورة امرأة عارية على غلافها بصورة المفخرة والمباهاة؛ لأنها وصلت إلى هذا المستوى المتحرر، كما في العدد السابع المجلد الثاني مارس 1934.⁴ بدأت العلمانية في العالم الإسلامي بدخول القائد الفرنسي نابليون بونابرت

¹ محمد إسماعيل المقدم: عودة الحجاب (معركة السفور والحجاب)، دار طيبة، 2003، ص: 42.

² محمد عمارة: الأعمال الكاملة لقاسم أمين، ص: 516.

³ عبد الله بن محمد الداود، هل يكذب التاريخ؟ -مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة-، ص: 136.

⁴ المرجع نفسه، ص: 162.

الذي جاء مستعمرا من باريس "وبلمحة سريعة نجد أن رواد العلمانية والتحرر قد نالهم من باريس نصيب، فقاعدة التزود بالوقود لأولئك المفسدين كانت باريس وقرحة العلمانية ظهرت من فرنسا، حتى نالنا قبحها وصديدها"¹ وفي الوطن العربي التاريخ يعيد نفسه "زيادة على التقليد الأعمى لديهم، وتكرارهم الأفكار العلمانية القديمة وجمودهم المثير للغثيان، فإنهم يستحقون أن يوصفوا بأبواق ينفخ فيها اليهود بروتوكولاتهم، فتمر عبرهم الأفكار اليهودية، لتخرج لنا أفكارا يهودية بلهجة محلية عربية، تترجم ما كتبوه في بروتوكولاتهم من أجل السيطرة على العالم"² وكانت سهام العلمانية في بادئ أمرها موجهة صوب المرأة العربية المسلمة؛ لأن الحجاب عند العلمانيين هو المفصل الأهم في قضية المرأة، وهو "مصدر الرعب لقلوبهم، ولا ينتهي العجب من انفعالهم وشدة حنقهم وغيظهم منه، وحين يكسرون هذا المفصل وينالون منه سهل عليهم النجاح في تحقيق بقية إفسادهم"³ فابتدأت الدعاية للألبسة العارية والصرخات الأوروبية في المجالات والصحف العربية منذ 1925 أي بعد سقوط الخلافة العثمانية بسنة واحدة فقط، وقد ظهرت كثيفة بصورة لم تسبق هذا التاريخ وكان ظهورها جريئا في خلاعته، واستعراضه المتعري في وقت كانت المرأة المسلمة متقيدة و متمسكة بحجابها وسترها السايغ على كامل جسدها، فكانت هذه الدعايات الخليعة غير متناسقة مع اللباس العام للنساء، ولكن الضغط الصحفي الإعلامي يجبر النساء على التخلي عن الحشمة ثم الانجراف قليلا قليلا صوب السفور والجري خلف الموضات"⁴ ولعل مجلات الأزياء والمجلات النسائية العربية "ومسابقات ملكات الجمال التي يتم عرضها في المحطات الفضائية العربية حاليا هي أصدق دليل على امتداد هذا المنهج وكذلك ما ابتلي به المسلمون والمسلمات من بث الفضائيات لمشاهد الفحش والعري ومنها برامج الأزياء التي أعدت إعدادا ماكرا للأمر يراد"⁵ ولنا في ذلك أمثلة كثيرة لما يصدر عن أعداء المرأة على وجه العموم "فقالوا إذا أردت الرشاقة وخفة الحركة فعليك بالأزياء... انتقي ما يناسبك وما يظهر رشاقتك... ينبغي أن تكوني جذابة فهكذا تكون المرأة المتحضرة تابعي صيحات الموضة... وصرحوا وقالوا: كيف

¹ المرجع نفسه، ص: 174.

² المرجع نفسه، ص: 175.

³ المرجع نفسه، ص: 198.

⁴ المرجع نفسه، ص: 185.

⁵ المرجع نفسه، ص: 185.

تجذبين انتباه الرجل؟... هذا فستان يكشف مفاتن الصدر وهذا يكشف مفاتن الظهر وهذا يكشف مفاتن الساقين. وقد كان الخبث أعظم والمكر أكبر، فأغرقوا السوق بالمجلات النسائية التي تعرض صور الموديلات الشرقية والغربية¹ بل من طرائق الضغط ما يتم ممارسته (مؤخرا) "بإتخام الأسواق وملئها بأصناف الألبسة الغربية المنافية للدين والعفاف فيجبرون النساء على ارتدائها، لعدم توافر البديل الساتر العفيف وهكذا "بدأت المرأة المسلمة التي كانت إلى زمن قريب تلبس (الملاية) في إفراط، تسلك في سيرها الاجتماعي الطريق الذي رسمته أوروبا لنسائها، متخيلة أن في ذلك حلا لمشكلتها الاجتماعية"² ونحن نأسف أن تكون نساء الشرق بهذه الدرجة من البساطة، حين يرين مشكلتهن قد حلت بمثل هذا التقليد لنساء أوروبا، فإن مشكلة المرأة مشكلة إنسانية يتوقف على حلها تقدم المدنية، فلا يكون حلها إذن بمجرد تقليد ظاهري لأفعال المرأة الأوروبية، دونما نظر إلى الأسس التي بنت عليها المرأة الأوروبية سيرها.³

يقول مالك بن نبي: هل من المفيد للمرأة المسلمة أن نجعلها في مركز تشبه فيه أختها الأوروبية؟ لقد اتبعت هذه الطريق بعض البلاد الإسلامية، وهي تمثل في نظرها حركة التجديد في حياة المرأة، التي مازال يدعو إليها المجددون؛ ولكننا بشيء من النظر نرى أن انتقالنا بالمرأة من امرأة متحجبة إلى امرأة سافرة... لم يحل المشكلة، فهي لا تزال قائمة؛ وكل الذي فعلناه أننا نقلنا المرأة من حالة إلى حالة⁴

البعض من العرب الراضين لحجاب المرأة يرد مسألة انفتاح وانغلاق المرأة إلى الأوضاع الاجتماعية المادية التي تعيشها ويقولون بأن لا علاقة للحجاب بالاحتشام والتدين، فتقول "أمنية السعيد" في هذا المقال مهاجمة عبادة الحجاب: "الانفتاح أباح لبعض الفتيات الفرصة في ارتداء الأزياء الغالية، ومتابعة المواضات المختلفة مما تسبب عنه مشكلة اجتماعية ترتب عليها في نظري مشكلة الحجاب وارتداء الملابس الإسلامية... وهو في معظم أوقاته ليس تدينا، بل هربا من مواجهة المقارنة الرهيبة في الجامعة بين الأزياء الباهظة الثمن المتنوعة، وبين البنت القادرة، وهي عندها تلبس ما يطلقون عليه

¹ خالد بن عبد الرحمن الشايع: النساء والموضة والأزياء، ص: 15، 16.

² مالك بن نبي: مشكلات الحضارة - شروط النهضة-، ص: 125.

³ المرجع نفسه، ص: 126.

⁴ المرجع نفسه، ص: 126.

الذي الإسلامي تنقذ روحها من محنة مالية هي غير قادرة عليها¹ والبعض الآخر يرى أن الموضات العارية وإظهار مفاتن الجمال هو الحضارة والتطور بعينها لدرجة أن المجتمع الغربي قد مارس من بين فنونه، فن التصوير وتصوير المرأة العارية بخاصة بسبب الدافع الجمالي، بينما لا نرى الفن الإسلامي قد خلف أثارا في التصوير كذلك الذي نشاهده في متاحف الحضارة الغربية، لأن الرادع الأخلاقي في المجتمع الإسلامي لا يطلق العنان للفنان أن يعبر عن كل ألوان الجمال وعلى الخصوص المرأة العارية² وفي الختام يمكن الختام بقول مالك بن نبي إنه لمن الغباوة أن ننكر اليوم مشكلة الزي المناسب لرجال النهضة ونساءها، ولكننا نكون أكثر غباوة إذا ما استسلمنا في ذلك إلى التقليد البحت، بلا التفات إلى مقتضيات أحوالنا من حيث دستور الجمال وضيقنا الاقتصادي.

¹ محمد إسماعيل المقدم: عودة الحجاب (معركة السفور والحجاب)، ص: 127.

² مالك بن نبي: مشكلات الحضارة - شروط النهضة-، ص: 109.